

معركة ايسين المغمورة

(من ذكريات الشعبين الجزائري والليبي)

تحتفل الجزائر بالذكرى الخمسين لاندلاع ثورتها المباركة، وهذا الاحتفال الكبير، يخلد ذكرى الشعب المكافح وبمناسبة مرور الذكرى السابعة والأربعين لمعركة ايسين نقول إن وحدة الكفاح في المغرب العربي واحدة وإن تعددت أسباب الكفاح والنضال.

بقلم: الدكتور محمد الأمين بلغيث
أستاذ محاضر بجامعة الجزائر



مدخل عام

الزنتاني وكل المناضلين الليبيين الذين ساعدونا بالغالي والنفيس، رغم اعتراضات الكثير عن مواقف مخجلة للنظام الملكي في ليبيا، ولكننا من موقعنا كدارسين نكبر المواقف الشجاعة للسلطة السياسية العليا في ليبيا ونترجم احترامنا وتقديرنا للعمل الكبير الذي قام به رجال ونساء في الشقيقة ليبيا دون أن تذكرهم كتب التاريخ ومواعظ المؤرخين ولو بكلمة بسيطة¹.

لقد سجل المرحوم أحمد توفيق المدني الموقف الرسمي والشعبي لليبيا على لسان الملك إدريس السنوسي بعد لقائه به كموفد من جبهة التحرير الوطني يوم 13 جوان 1956، حيث كان مرفوقا بالدكتور محمد الأمين

لقد ترجم الليبيون موقفهم المتقدم من قضية الشعب الجزائري في مواقف متعددة لا يمكن حصرها حيث قالوا: "كل قرش ندفعه لصندوق الجزائر يضيف حرفا إلى وثيقة الحرية التي يكتبها الأحرار بدمائهم، وكل مساعدة نبذلها تنطلق رصاصة في صدر البغي الذي يتشبث في عناد بأهداب الحياة.. فما ذهب حق دافع عنه بنوه، وما تناول ظل الباطل اكتسحه نور الحق" وكيف ينسى الجزائريون عائلة الهادي المشيرقي وأحمد راسم باكير ويوسف مادي وسالم مسعود الشوارف

الدباغين²، حيث لخص المدني إجابة الملك فقال:

أولاً: إن الجهاد في الجزائر ليس جهادا جزائريا بل هو جهاد إسلامي عام فمن كان مستطيعا ولم يشارك فيه فقد خان الله ورسوله.

ثانياً: إن ليبيا ملكا وحكومة وشعبا، لا تؤيد الكفاح التحريري الجزائري فقط بل تشارك فيه روحا وبدنا، ولو أن ثورتكم فتحت أبوابها لقبول المتطوعين، لرأيتم أن رجال ليبيا ربما فاق عددهم في جيش التحرير عدد الجزائريين.

ثالثاً: إن الرئيس مصطفى بن حليم (رئيس الحكومة الليبية) قد أطلعته - توفيق المدني - على تفاصيل مذكراتنا معه، واتفاقنا في قضية المطارات ومرور السلاح وقال: "اعتبروا المطارات بين أيديكم الآن"³

وحتى تتضح المعارك التي دارت على الحدود الجزائرية الليبية، التي مهدت الطريق لمعركة ومأساة إيسين رمز التلاحم الجزائري الليبي، نقول إن الثورة في عام 1957، بلغت مرحلة متقدمة جدا من حيث الانتشار في كامل التراب الوطني وعلى الخصوص المنطقة الصحراوية، وقد أجمعت الوثائق والشهادات الحية على أن النشاط المكثف للثورة الجزائرية في

الجنوب قد انطلق بداية من سبتمبر 1957، ولعله التاريخ الذي تركز فيه التنظيم السياسي والإداري لجهة التحرير في الجنوب الجزائري، حيث أكدت وثائق الاستعلامات السياسية والعسكرية الفرنسية أن هذا التنظيم كان منتشرًا منذ سبتمبر 1957، كما سلف أن ذكرنا، وهذا في واحات وادي الصاورة وتوسع إلى ناحية تيميمون وورقلة، ومما يدل على عمق هذا التنظيم المحكم وأثاره البالغ في نفوس الجزائريين، توغله في أوساط أولئك الذين كانوا يعملون في صفوف الجيش الفرنسي، إذ فرت مفرزتان من كتيبة المهاري من مدينة توات مع نهاية 1957، بعد أن قام أفرادها الجزائريون بقتل الضباط والجنود الفرنسيين، كما قامت كتيبة من المجاهدين بالقضاء على قافلة فرنسية، كانت تقوم بالبحث عن البترول في العرق الشرقي الكبير، وادعت الوثائق الفرنسية في هذا المجال أنها في شهر أكتوبر 1957، أي بعد ملحمة إيسين القضاء النهائي على المجاهدين الموجودين بالحدود الجزائرية الليبية، وفي غياب الوثائق والشهادات الحية، فإننا نتحفظ على هذه الدعايات الإعلامية الاستعمارية⁴.

والعرب (رجال الصاعقة) الراغبين في الالتحاق بالثورة الجزائرية⁶.

ففي صائفة 1957، ارتأت قيادة جيش التحرير الوطني الجزائري أن ترسل مجموعة من الجيش إلى أقصى الجنوب لترباط في المكان المسمى (فيوت) بمنطقة غات، على بعد 12 كلم من الحدود الجزائرية الليبية، على أن تقوم المجموعة العسكرية بعمليات حربية في التراب الجزائري ثم تتسحب داخل التراب الليبي، وكانت فرنسا حسب شهادة الأستاذ محمد الصالح الصديق تستبعد أن تصل الثورة إلى هذا المكان لقساوة الطبيعة فيه، وقد أشرف على هذه العملية العقيد أوعمران، وكلف بقيادتها الرائد مولود إيدير الفار من الجيش الفرنسي والذي خدمه طيلة 23 سنة كاملة، كما شهد بذلك في رسالة شهيرة يرد فيها على الكاتب الفرنسي الشهير (فرانسوا مورياك) نشرتها لأكسيون ونقلتها عنها صحيفة المقاومة الجزائرية في عددها التاسع وبتاريخ 16 شعبان 1316هـ/18 مارس 1957⁷.

إذن لقد كان تواجد القوات العسكرية الجزائرية بالمنطقة في صائفة 1957، وقد ساعد هذا التواجد كتائب الثورة

معركة ايسين محاولة في تركيب الأحداث

بعد رحيل القوات العسكرية الفرنسية المرباطة بفزان بتاريخ 20 نوفمبر 1956، بقرار من الأمم المتحدة، وكذلك مغادرة القوات الفرنسية بعنادها العسكري واحة غات يوم 05 ديسمبر 1956، حولت هذه القوات العسكرية لترباط بمدينة جانت الجزائرية غير بعيد عن الحدود الجزائرية الليبية، ومن هنا نشط الجزائريون بمساعدة الليبيين حكومة وشعبا في تمرير كميات كبيرة من الأسلحة تفوق 60 قطعة سلاح في الأسبوع حسب الوثائق الفرنسية، كما كانت مساعدة متصرفية غات للشوار واضحة وملموسة، بشهادة الفرنسيين أنفسهم⁵، بحيث أصبحت الحدود الجزائرية الليبية جسرا رابطا المشرق بالمغرب، فكانت ليبيا هي القاعدة المتقدمة للمساعدات العسكرية والمعونات التي كانت تتلقاها الثورة من البلدان العربية عبر البر والبحر والجو، كما أنها سوف تحتضن مراكز تدريب المجاهدين الجزائريين

الجزائر بمختلف أنحائها تجمعت في هذه الرقعة الصغيرة من الصحراء (فيوت) ⁸.

ويمكن تلخيص هذا العمل الذي قامت به الثورة والهدف منه فيما يلي:

1 - إقلاق فرنسا في استغلالها للثورة البترولية في حاسي مسعود.

2- تجنب المعارك العسكرية المباشرة مع القوات الفرنسية على الحدود حتى لا تسبب حرجا للسلطة الليبية الخاضعة في مساعدتها للثورة الجزائرية المباركة للرأي العام الشعبي في ليبيا.

3- تكثيف اللقاءات المباشرة بين الثورة والطوارق.

كانت مقدمات هجوم القوات الاستعمارية الفرنسية على إيسين، تمثلت في هجوم للمجاهدين على قافلة عسكرية مكونة من أربع شاحنات، تابعة لشركة دوفيك ليلة 17 سبتمبر 1957، حيث تم إحراقها9، ومن هنا فكرت القوات العسكرية الفرنسية في بناء قاعدة عسكرية في مواجهة الواحة المعزولة، ونصب وتوجيه مدفع عيار (105)، وبعد دراسة طوبوغرافية قام

الجزائرية من أجل نشر مبادئ الثورة بين الطوارق ومحاصرة وإغلاق التواجد الكثيف للقوات الفرنسية وقوافل الخبراء الذين يسعون لاستغلال أبار البترول التي توجتها الأبحاث الجيولوجية باكتشاف بترول حاسي مسعود بمردودية أخرى لتحقيق متطلبات الآلة الصناعية والحربية الفرنسية ⁸.

لقد أرسلت الجبهة كوكبة من المجاهدين كان من أبرزهم مجموعة من المتقنين المعروفين ومنهم: منور مروش، محمد الصالح الصديق، الشهيد علي السويحي، الشهيد مصطفى الأكل، عبد القادر بن قاسي، مسعود بزة، الحاج بوزيادي، الشهيد سعيد صحابي، العمري بان، عثمانى عبد الوهاب، محمد مفتاحي، محي الدين عميمور وكان على رأس المجموعة الكومندان إيدير - والمثير للانتباه أن هذه الفرقة المرابطة في فزان وبالتحديد على الحدود الجزائرية الليبية كانت تمثل نخبة من الشخصيات التي سيكون لها وزنها وتأثيرها في مجال تواجدها بعد استقلال الجزائر، كما كانت المجموعة تمثل كل مناطق الجزائر، فما من منطقة إلا ولها ممثلها، فكان

حيث تصف البرقيات العسكرية منطقة التاسيلي بأنها أصبحت متعفنة إلى درجة كبيرة، والمقصود بهذا التعفن، هو تمكن رجال الثورة من عسكريين وسياسيين من كسب معركتهم مع إخواننا الطوارق الذين لبوا نداء الجهاد، وأحسوا كغيرهم من الجزائريين بالكيان الذي يجمعهم، رغم محاولات الساسة في الجزائر وباريس جس نبض هؤلاء من أجل تكوين جمهورية صحراوية¹¹، وفصل الصحراء الجزائرية عن الشمال وهي أخطر العمليات الاستراتيجية التي قامت بها فرنسا في عهد الجنرال العجوز ديغول، وهو المشروع الخطير الذي طرحه الآن بيريفيت (Alain

Peryvefitte) القريب من لوي جوكس في كتابه " هل يستلزم تقسيم الجزائر" **Faut-il partager l'Algérie !**¹² هذه مقدمات الهجوم على القرية الهادئة إيسين رمز الكفاح والجهاد الجزائري الليبي في ذكراها السابعة والأربعين.

وقد لا يتسع المقام للحديث عن الأزمة الدبلوماسية التي أحدثتها المعركة وكيف قررت القيادة سحب قواتها من هذه المنطقة لأن الملك إدريس ومن معه من السياسيين أجمعوا على أنهم ليسوا في

بها الملازم دومنيك بوتتي (Dominique Petit) ألغيت الفكرة وعوضت بإقامة مركز للدعاية في تين ألكوم، لتحويل مكان التقاء الرحل العابرين، والتجسس على الليبيين ومراقبة تواجد المجاهدين الجزائريين¹⁰. لأن فرنسا الاستعمارية لا زالت تحلم بالسيطرة على منطقة غدامس وضمتها لإمبراطوريتها الصحراوية، خاصة بعد أن ضمتها في مطلع القرن العشرين عقب انهزام إيطاليا في الحرب الكونية الثانية والترتيبات التي قامت بها الأمم المتحدة تحقيقا لانتصارات الحلفاء والسادة الجدد.

فراحت تحضر لما يسمى بالعملية 176 وكونت لها قوة كبيرة تمركزت في الجزائر وعلى الخصوص المنطقة الحدودية الشرقية ومنطقة للإمداد مكونة من كبار الضباط الذين تمرسوا على الحروب الصحراوية، وكذا أوجدت العملية 176 قوة تغطية جوية متمركزة في بانغي بجمهورية إفريقيا الوسطى حالياً.

إن التحضير الفرنسي للاعتداء على ليبيا يهدف القضاء على المجاهدين الجزائريين تعود إلى نهاية عام 1956،

الخاتمة

هذا ما يمكن قوله في هذه المناسبة مع غياب الوثائق والشهادات وثيقة الصلة بالأحداث إلا ما نعرفه من شهادة بشير قاضي (4 أكتوبر 2004)، الوفي لذكريات الثورة في الشقيقة ليبيا والذي نلومه هو صمته خوفاً من العاديات، فالكتابة في هذا الشأن اعتراف بحق أهلنا والعالم كله بأن ليبيا لم تكن قاعدة مرور بل شاركتنا أفراحنا وأحزاننا طيلة الأيام والليالي والسنوات العجاف (1954 - 1962) وشهادة محمد الصالح الصديق، المرفقة بالتفاصيل في كتابه الشعب الليبي الشقيق في جهاد الجزائر، وكنا قد أشرنا في كتابنا الصادر ببيروت عام 2001، (تاريخ الجزائر المعاصر) أن المساعدات الليبية الأهلية خاصة والحكومية تأتي في الدرجة الأولى من خلال تقييمنا للمساعدات العربية والدولية.

لقد كانت المساعدات الليبية العسكرية والمالية والسياسية والدبلوماسية من الأهمية بمكان وربما تأتي في الدرجة الأولى، كما وجد المجاهدون الحماية والمساعدة وتكوين قواعد خلفية أمنية

مستوى مواجهة حرب جديدة مع فرنسا الاستعمارية، مثل السيدكعبار رئيس الحكومة والبوصيري ناظر الخاصة الملكية (وزير القصر) والعقيد نوري الذي يقول "لن نستطيع الرد على هجومات عسكرية فرنسية".

فقد هددت فرنسا كما سلف الحكومة الليبية بالعودة إلى فزان إلا أن دبلوماسية جبهة التحرير وأعوانها في طرابلس وبنغازي وهم أحمد بودة، سي حسان، محمد الصالح الصديق بشير قاضي هذا الأخير هو عين وأذن الثورة في بنغازي إضافة إلى إخواننا محمد الهادي عرار والطيب فرحات وأصحاب المزرعة الشهيرة، قد عرفوا الصفقة التجارية بين فرنسا الاستعمارية والمملكة الليبية حول مد خط لبترول حاسي مسعود، مقابل 6 مليون دولار، وهي الصفقة التي رسمتها تونس البورقبيية وكتبت صحافة الثورة آنذاك قضية الخبز المسموم الملوث بدماء الشهداء، حيث عرف رجال الثورة الأمر عن طريق عميل للمخابرات الأمريكية صاحب خمارة بباب الحرية¹³

وفينا بحق الأخوة والجار الطيب؟
الذي لم يتدخل في شؤوننا يوم المحنة
والصراع الدائر بين الأشقاء؟ وفي
أرض ليبيا بالذات قبل الاستفتاء
والإعلان الرسمي لاستقلال واسترجاع
الجزائر سيادتها المغتصبة.

وعسكرية، مما سبب الحرج الكبير
للدولة الليبية المستقلة حديثا في مواجهة
سياسة فرنسا الاستعمارية¹⁴.

لقد كانت مأساة ايسين قضية رمزية
وجهادا مشتركا بين الشعبين الجزائري
والليبي، وهي رمز التضامن والأخوة
التي ربطتنا منذ القرون الخوالي، فهل

الإحالات

(*) - مداخلة أقيمت بمجلس الشورى المغاربي يوم 04 أكتوبر 2004، بمناسبة الذكرى السابعة والأربعين لمعركة ايسين 1957.

1 - محمد الأمين بلغيت، تاريخ الجزائر المعاصر (دراسات ووثائق)، وثائق جديدة وصور نادرة
تنشر لأول مرة، بيروت، الجزائر، دار البلاغ، 2001، ص : 286 وما بعدها.

2- انظر عن شخصية الدكتور محمد الأمين الدباغين ممثل الثورة بالقاهرة وردود أفعال الوفد
الخارجي . د محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر (1942 - 1992)، الجزائر دار
هومة للنشر والتوزيع، 2000، ص : 118.

3- د. عامر رخيعة، الثورة الجزائرية والمغرب العربي (مجلة المصادر)، العدد الأول الجزائر
صيف 1419هـ / 1999م ص 154 وما بعدها.

4- يوسف مناصرية، بعض الوثائق الفرنسية حول نشاط الثورة التحريرية في الجنوب
الجزائري، (مجلة المصادر)، مجلة فصلية تعنى بشؤون المقاومة الشعبية، والحركة الوطنية
وثورة أول نوفمبر 1954، العدد الخامس صيف، 1422هـ / 2001 ص: 53 وما بعدها. الأستاذ
محمد الصالح الصديق، الشعب الليبي الشقيق في جهاد الجزائر، الجزائر، دار الأمة، جانفي
2000 ص: 72 وما بعدها.

5- شهادة بشير القاضي، يوم 03. 10. 2001 مجلس الشورى المغاربي بالجزائر العاصمة
بمناسبة الذكرى الرابعة والأربعين لمعركة ايسين.

أنظر أيضا الأستاذ مسعود كواتي، معركة ايسن من خلال كتاب فرنسي (المصادر العدد الرابع)
مرجع سابق، ص : 176 وما بعدها.

- 6- يوسف مناصرية، بعض الوثائق الفرنسية حول نشاط الثورة التحريرية في الجنوب الجزائري، ص: 55.
- 7- الأستاذ محمد الصالح الصديق، الشعب الليبي الشقيق في جهاد الجزائر ص: 71 وما بعدها.
- 8- محمد الأمين بلغيت، فصل الصحراء الجزائرية عن الشمال، أسلوب فرنسي جديد للحرب النفسية ضد الثورة (تاريخ الجزائر المعاصر) بيروت ، دار ابن كثير، 1422هـ / 2001م ص ص : 198-220.
- 8م - الأستاذ محمد الصالح الصديق، الشعب الليبي الشقيق في جهاد الجزائر، ص: 81.
- 9- مسعود كواتي، معركة من خلال كتاب فرنسي، ص: 181، د. إبراهيم مياي، أضواء على معركة ايسين (مجلة المصادر) العدد الرابع، مصدر سابق، ص : 161.
- 10- مسعود كواتي، معركة ايسين من خلال كتاب فرنسي، ص: 176-177. د- محمود أحمد الديك، الأطماع السياسية والاقتصادية الفرنسية في مدينة غدامس خلال القرن التاسع عشر (أعمال الندوة العلمية التاريخ حول تاريخ غدامس من خلال كتابات الرحالة والمؤرخين) تقديم وتحرير نورالدين مصطفى الثني، ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 2003 ص : 291.
- 11- محمد الأمين بلغيت، فصل الصحراء الجزائرية عن الشمال، أسلوب فرنسي جديد للحرب النفسية ضد الثورة (تاريخ الجزائر المعاصر)، ص : 204 وما بعدها.
- 12- أنظر مواقف المجاهدين الليبيين ومقولة قداماء المحاربين الفرنسيين بعد هذه المعركة وهو قسمهم أنهم سيحافظون على الجزائر فرنسية بأي ثمن وهي نغمة استعمارية قديمة انظر: الهادي إبراهيم المشيرقي، قصتي مع ثورة المليون شهيد، الجزائر، دار الأمة سنة 2000 ص: 11.
- Yves courrière (L'heure des colonels) série la guerre d'Algérie (1957-1960) ; un espoir sans lendemain, Marabout histoire, Paris, Librairie Arthème Fayard ; 1970 P : 220 et suivantes pierre Vidal Naquet, les crimes de l'armée française (petite collection maspero) ? Paris 1982.P : 109.
- 13- شهادة بشير قاضي المذكورة أعلاه (الاثنين 04 أكتوبر 2004، مجلس الشورى المغربي).
- 14- محمد الأمين بلغيت، تسليح الثورة الجزائرية بعد مؤتمر الصومام (تاريخ الجزائر المعاصر) ، ص : 181 - 182.